رؤيـــــــة

فى

الترادف من خلال القرآن الكريم

إعداد

الدكتور / أحمد عبد المجيد أبو غرارة

مدرس أصول اللغة فى كلية اللغة العربية بإيتاى البارود

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين . والمبعوث رحمة للعالمين . سيدنا ومولانا محمد أفصح من نطق بالضاد . على آله وأصحابه ومن والاهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فلقد توفر على دراسة القرآن الكريم وخدمته أجيال من العلماء وقامت على خدمته أكبر حركة لغوية عرفتها لغات العالم ، ولا يزال القرآن معينا لا ينضب للعلم والعلماء فى جميع مجالات الحياة مصداقا لقوله تعالى (مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) [1] .

ولقد حفلت لغة القرآن بظواهر لغوية متعددة منها الترادف اللغوى وهو اختلاف اللفظين والمعنى واحد . فهل استعمل القرآن الكريم هذه الألفاظ المختلفة الأصل اللغوى لتؤدى معنى واحداً ؟ وللإجابة عن هذا السؤال قمت بإعداد هذا البحث الذى حاولت فيه دراسة بعض مترادفات القرآن الكريم عن طريق التحليل اللغوى لها لبيان دقة القرآن فى استعمال الألفاظ وهو وجه من وجوه الإعجاز القرآنى وقد قسمته إلى قسمين :

الأول : الجانب النظرى : تناولت فيه معنى الترادف فى اللغة والاصطلاح واهتمام العلماء به وآراء العلماء فيه والقرآن الكريم والترادف .

الثانى : الجانب التطبيقى : استعرضت فيه بعضا مما قيل إنه مترادف من ألفاظ القرآن الكريم وما تيسر لى بحثه آملا أن يكون تمهيدا لدرس أعمق وأشمل . وأسأل الله أن يوفقنى لإتمامه خدمة للغة القرآن الكريم إنه سميع قريب مجيب الدعاء .

المؤلف

---

(1) الأنعام الآية ٣٨ .

القسم الأول : النظرى

١ـ الترادف لغة واصطلاحا .

٢ـ اهتمام العلماء به .

٣ـ آراء العلماء فى الترادف .

٤ـ القرآن الكريم والترادف .

الترادف لغة واصطلاحا :

الترادف فى اللغة :

إذا أمعنا النظر فى المعاجم العربية وجدنا أن الترادف هو التتابع فيقول ابن منظـــور : الرِدْفُ : ما تبع الشئ وكل شئ تبع شيئا فهو ردْفُه ... والتَرَادُفُ : التتابع ومن ذلك قوله تعـالى (بِألفٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ) [1] أى متتابعين يأتون فرقة بعد فرقة [2] .

ويقول الجوهرى : كل شئ تبع شيئا فهو ردفه ، والترادف : التتابع قال الأصمعـــى : تعاونوا عليه وترادفوا بمعنى [3] .

ويقول الفيروزآبادى : الرِدْفُ بالكسر : الراكب خلف الراكب كالمُرْتَدَفِ والرِديـــفِ والرُادَفَى كحبارى وكل ما تبع شيئا ... وترادفا تعاونا وتناكحا وتتابعا [4] .

ويقول الفيومى : وترادف القوم تتابعوا وكل شئ تبع شيئا فهو ردفه [5] .

وليس فى هذه المعانى السابقة ما يوحى باتحاد التابع والمتبوع وإنما يوحى التغاير – مـــع شئ من التقارب – وهو الذى يمكن أن يفهم من السياق .

الترادف فى الاصطلاح :

ينقل الإمام السيوطى لنا آراء متعددة فى الترادف منها رأى الإمام فخر الدين الـــرازى حيث يقول : الترادف : هو توالى الألفاظ المفردة الدالة على شئ واحد باعتبار واحد .

قال : واحترزنا بالإفراد عن الاسم والحد فليسا مترادفين وبوحـــدة الاعتبـــار عـــن المتباينين كالسيف والصارم فإنهما دلا على شئ واحد لكن باعتبارين : أحدهما علـــى الـــذات والآخر على الصفة والفرق بينه وبين التوكيد أن أحد المترادفين يفيد ما أفاده الآخر كالإنســـان والبشر وفى التوكيد يفيد الثانى تقوية الأول .

والفرق بينه وبين التابع أن التابع وحده لا يفيد شيئا كقولنا : عطشان ونطشان [6] .

---

(1) الأنفال الآية ٩ .

(2) لسان العرب (ر د ف) ٩ / ١١٤ .

(3) صحاح الجوهرى (ر د ف) ٤ / ١٣٦٣ .

(4) القاموس المحيط (ر د ف) ٣ / ١٤٨ .

(5) المصباح المنير (ر د ف) ١ / ٢٢٥ .

(6) المزهر للسيوطى ١ / ٤٠٢ .

وواضح من هذا التعريف أن الإمام فخر الدين يتحرز من إطلاق الترادف على كثير مما جعله علماء العربية مترادفا كالسيف والصارم .

وقد عرفه بعض علماء أصول الفقه بأنه الألفاظ التى اختلفت صيغها وتواردت على معنى واحد كالقمح والبر والحنطة ، وفى والباء [1] .

أو هو دلالة عدة ألفاظ على معنى واحد كالبر والقمح والحنطة فالبر يستعمله أهل العراق وعند أهل مصر يطلقون عليه القمح وعند أهل مكة الحنطة .

ويعد المبرد من كلام العرب :

اختلاف اللفظين والمعنى واحد مثل ظننت وحسبت ، وذراع وساعد ، وأنف ومرسن [2] .

ويقول الإمام الشافعى :

وتسمى العرب الشئ الواحد بالأسماء الكثيرة وتسمى بالاسم الواحد المعانى الكثيرة وإن ذلك من سنن العرب [3] .

ويقول الشيخ عز الدين :

إن من جعلها مترادفة نظر إلى اتحاد دلالتها على الذات ون منع : نظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى فهى تشبه المترادفة فى الذات والمتباينة فى الصفات . وقد عرفه أستاذنا الدكتور / إبراهيم نجا بأنه : دلالة عدة ألفاظ على معنى واحد . كالليث والهزبر للحيوان المفترس ، وكالراح والقرقف والخمر للشراب المسكوب ، وكالقمح والبر والحنطة للحبة المعروفة [4] .

ويقول الأستاذ الدكتور / عبد الطيب : الترادف : هو اشتراك لفظين فأكثر فى الدلالة على معنى واحد دلالة مستوية فكثيرا ما نجد ألفاظا تشترك فى الدلالة على معنى واحد كالسيف والصارم والأبيض والمهند والبتار والعضب والقضيب والصمصام والمفصل والمشرقى ... الخ فهذه الألفاظ وغيرها كثير يدل على تلك الآلة الحربية القاطعة المصنوعة من الحديد [5] .

---

(1) علم أصول الفقه للشيخ محمد عبد الله أبو النجا / ٣٢ .

(2) ما اختلف لفظه للمبرد / ٢ .

(3) الرسالة للإمام الشافعى / ٣٢ .

(4) فقه اللغة العربية للدكتور إبراهيم نجا / ٧٣ .

(5) اللهجات العربية فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة للدكتور عبد الطيب / ١٢١ .

ويعرفه المستشرق " ستيفن أولمان " بأنه : ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها فى أى سياق [1] .

من هذه التعريفات السابقة نرى اقتراب المعنى الاصطلاحى للترادف من المعنى اللغوى مع الفرق الذى يزيد دائما فى اللفظ الموضوع للاصطلاح بما ليس فى المعنى اللغوى .

اهتمام العلماء به :

اهتم العلماء بالترادف اهتماما كبيرا فحرص جامعو اللغة على تلقى أمثلة لهذه الظاهرة من أفواه العرب وتسجيلها كأبي زيد الأنصارى فقد حكى أبو حاتم السجستانى قال : حدثنى أبو زيد قال : قلت لأعرابي ما المتكأكى ؟ قال : المتآزف قلت : وما المتآزف ؟ قال : المحنبطئ قلت : وما المحنبطئ ؟ قال : أنت أحمق ، ومضى وتركنى [2] .

وقد أفردها جماعة بالتأليف كابن خالوية الذى ألف كتابا فى أسماء الأسد وكتابا فى أسماء الحية [3] والرمانى الذى ألف كتابا سماه الألفاظ المترادفة . وعبد الرحمن الهمذانى الذى ألف الألفاظ الكتابية والفيروز آبادى الذى ألف كتابا سماه الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف .

ومن العلماء الذين تعمقوا فى هذا الباب أبو هلال العسكرى الذى ألف كتابه (الفروق فى اللغة) وخصصه لبحث هذه الظاهرة فى اللغة العربية يقول فى مقدمه كتابه : " ثم إنى ما رأيت نوعا من العلوم وفنا من الآداب إلا وقد صنف فيه كتب تجمع أطرافه وتنظم أصنافه إلا الكلام فى الفرق بين معان تقاربت حتى أشكل الفرق بينها نحو العلم والمعرفة ، والفطنة والذكاء والإرادة والمشيئة ، والغضب والسخط ، والخطأ ، والكمال والتمام " [4] .

وقد جعل أبو هلال كتابه فى ثلاثين بابا إلا أن كتابه يخلو فى كثير من الأحيان من الشواهد اللغوية التى توضح ما يريد إلا أن له فضل السبق لإفراده هذا الفن بكتاب مستقل واجتهاده فى ذلك .

---

(1) دور الكلمة فى اللغة ستيفن أولمان ترجمة الدكتور كمال بشر / ١٠٩ .

(2) المزهر للسيوطى ١ / ٤٠٢ .

(3) السابق ١ / ٤٠٧ .

(4) الفروق فى اللغة لأبي هلال العسكرى / ٩ .

آراء العلماء فى الترادف :

حظيت ظاهرة الترادف فى اللغة باهتمام القدماء من العلماء غير أن كلمتهم لم تكن واحدة فى وقوع هذه الظاهرة فى اللغة فمنهم من أنكر وقوعها ومنهم من أثبتها لفكرة معينة ذهب أصحابها إليها وهذه هى الآراء :

أولا ، المذكرون :

١ – يرى أبو على الفارسى أن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات إما لأن أحدهما اسم الذات والآخر اسم الصفة أو صفة الصفه [١] . قال أبو على الفارسى : " كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة ومنهم ابن خالوية : فقال ابن خالويه : أحفظ للسيف خمسين اسما فتبسم أبو على وقال : ما أحفظ له إلا اسما واحدا وهو السيف قال ابن خالويه : فأين المهند والصارم وكذا وكذا ؟ فقال أبو على : هذه صفات وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة [٢] .

ودليله على رأيه أن المعنى المراد يؤديه لفظ واحد فلا حاجة إلى أن تتعدد الألفاظ لأن ذلك عبث لا يقع فيه الواضع الحكيم .

٢ – ويرى ابن الأعرابى وابن درستويه وثعلب وابن فارس إلى إنكار الترادف بالمعنى العام من تساوى لفظين أو ألفاظ فى معنى واحد لأن كلا من تلك الألفاظ يوجد فيه فرق معنوى ولا يوجد فى الأخرى .

ودليلهم على ذلك أن تساوى عدة ألفاظ فى معنى واحد عبث لا يليق بلغة العرب الحكيمة .

يقول أبو العباس نقلا عن ابن الأعرابى : كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد فى كل واحد منهما معنى ليس فى صاحبه ، ربما عرفناه فأخبرنا به وربما غمض علينا فلم تلزم العرب جهله [٣] .

ويقول ابن درستويه : لا يجوز أن يكون لفظان مختلفان لمعنى واحد إلا أن يجئ أحدهما فى لغة قوم والأخرى فى لغة غيرهم كما يجئ فى لغة العرب والعجم أو فى لغة رومية ولغة هندية .

---

(١) المزهر للسيوطى ١ / ٤٠٣ .
(٢) السابق ١ / ٤٠٥ .
(٣) المزهر ١ / ٣٣٩ – ٤٠٠ .

ويرد على القائلين بالترادف بأنهم جهلوا حقيقة الأمر وأنهم تأولوا على العرب مـــا لا يجوز ، ويرى أن الفروق فى الدلالات كان يعرفها العرب الأوائل ولكن القـــائلين بـــالترادف لم يستطيعوا فهم هذه الفروق وإدراكها فقالوا بالترادف على خلاف الواقع اللغوى [1] .

أما ابن فارس فيقول : يسمى الشئ الواحد بالأسماء المختلفة نحـــو الســـيف والمـــهند والحسام والذى نقوله فى هذا أن الاسم واحد وهو السيف وما بعده مـــن الألقـــاب صفـــات ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى [2] .

وإذا اعترض أصحاب الترادف بأن المعنيين لو اختلفا لما جاز أن يعبر عن الشئ بالشـــئ فيكون التعبير عن معنى الريب بالشك خطأ ويكون التعبير عن معنى البعد بالنأى خطأ فى قـــول الشاعر :

وهند أتى من دونها النأى والبعد [3] .

أجاب ابن فارس : إنما عبر عنه من طريق المشاكلة ولسنا نقول إن اللفظتين مختلفتـــان فيلزمنا ما قالوه ، وإنما نقول : إن فى كل واحدة منهما معنى ليس فى الأخرى [4] .

ولم يكن ابن فارس يكتفى بملاحظة الفروق الدقيقة بين الاسم والوصف ، أو بين اســـم وآخر بل كان يرى مع شيخه ثعلب أن معانى الأحداث التى تفيدها الأفعال تشتمل كذلك علـــى فروق دقيقة لا تسمح بالقول بالترادف فيها نحو : مضى وذهب وانطق ، وقعد وجلس ، ورقـــد ونام وهجع ففى قعد معنى ليس فى جلس وكذلك القول فيما سواه [5] .

وفى إثبات هذه التفرقة وإيضاحها يقول ابن فارس : ألا ترى أنا نقول : قام ثم قعـــد ، وأخذه المقيم والمقعد ، ثم نقول : كان مضطجعا فجلس فيكون القعود عن القيام ، والجلوس عن حالة هى دون الجلوس ، لأن الجلس المرتفع والجلوس ارتفاع عما هو دونه وعلى هذا يجـــرى الباب كله [6] .

---

(1) دور الكلمة فى اللغة تعليق الدكتور / كمال بشر / ١٠٦ .

(2) الصاحبى لابن فارس / ١١٤ .

(3) هذا عجز بيت قاله الحطيئة وصدره : ألا حبذا هند وأرض بها هند (شرح الجاهليات لابن الأنبارى / ٢٩٨ .

(4) الصاحبى / ١١٦ .

(5) المزهر للسيوطى ١ / ٤٠٤ .

(6) الصاحبى لابن فارس / ١١٦ .

وقد رد المثبتون بالترادف على هؤلاء المنكرين من الفريقين بأن الترادف لا سبيل إلى إنكاره لأن وقوعه معلوم بالضرورة .

وقولهم : إن وضع عدة ألفاظ لمعنى واحد عبث لا يتأتى إذا كان ذلك من واضع لكن المعروف أن ذلك يكون من واضعين مختلفين فانتفى العبث الذى يقولون به [1] .

كما توجد بعض المترادفات التى لا فروق بينها وبخاصة فى الأسماء الجامدة كالعير والحمار ، والبر والقمح والحنطة فلا فروق بين تلك المترادفات فاللفظان الأولان موضوعان للحيوان الناهق ، والألفاظ موضوعة للحبة المعروفة دون ملاحظة لفروق معنوية .

ووجود مترادفات بينها فروق لا يؤدى إلى إنكار المترادفات كلها بل إنكار طائفة منها فحسب ، على أن المشتقات التى اتضحت فيها تلك الفروق كالحسام والصارم ونحوهما قد كثر استعمالها مكان موصوفاتها حتى استغنى بها عنها فجرى مجرى الجوامد فى إهمال الفروق وعدم النظر إليها [2] .

٣ – ويرى بعض العلماء أن الترادف غير موجود فى العربية ولكن أصحاب المعاجم هم الذين اختلقوه عند جمع اللغة ، ودليلهم : أن اللفظ الواحد يؤدى المعنى المراد وهذا واضح فى لغات العامية فليس بنا حاجة إلى دلالة أكثر من لفظ على هذا المعنى .

يقول الأستاذ الدكتور / *عبد الغفار هلال* : وهذا الرأى فاسد لأنه يتهم علماء اللغة ورواتها بالاختلاق والكذب وهم من تلك التهمة براء لأنهم قد جمعوا اللغة عن العرب الخلص ومن القرآن والحديث وقد كانوا على درجة من الورع تمنعهم من التورط فى الكذب إلى جانب دقتهم الفائقة فى الأخذ ، وقد أخذنا عنهم أمور اللغة كلها فكيف نقبل منعهم بعضا ونتهمهم فى الباقى ؟ .

على أن اللهجات العامية ليس فيها ذلك الترف لأنها تقتصر على ما يحتاج إليه الاستعمال فى الحياة اليومية على حين تختلف الفصحى عنها فى ذلك وهذا موجود فى كل اللغات . ولا تسلم بعض العاميات من وجود الترادف فيها وبخاصة إذا اتصلت بلغات أخرى [3] .

---

(1) علم اللغة بين القديم والحديث د / عبد الغفار هلال / ٣٠٣ .

(2) السابق / ٣٠٣ – ٣٠٤ .

(3) علم اللغة بين الماضى والحاضر د / عبد الغفار هلال / ٣٠٤ – ٣٠٥ .

وممن أنكر الترادف أبو هلال العسكرى فى كتابه (الفروق فى اللغة) فقال : كل اسمين يجريان على معنى من المعانى وعين من الأعيان فى لغة واحدة فإن كل واحد منهما يقتضى خلاف ما يقتضيه الآخر وإلا لكان الثانى فضلا لا يحتاج إليه [1] .

ولم يكن العسكرى من أنصار منع الترادف فحسب بل كان ممن يقولون بمنع الاشتراك اللفظى فى العربية كذلك فيقول : فكما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد لأن فى ذلك تكثيرا للغة بما لا فائدة فيه [2] .

وقد أحس العسكرى بأنه خالف إجماع القوم على القول بالترادف فى العربية فقال : " ولعل قائلا يقول : إن امتناعك من أن يكون للفظين المختلفين معنى واحد رد عليه جميع أهل اللغة لأنهم إذا أرادوا أن يفسروا اللب قالوا : هو العقل ... ... قلنا . ونحن أيضا نقول كذلك إلا أنا نذهب إلى أن قولنا : اللب وإن كان هو العقل فإنه يفيد خلاف ما يفيد قولنا : العقل [3] .

ثانيا المثبتون :

أثبت فريق من العلماء الترادف فى اللغة مطلقا ولا ينظرون إلى أمثلته نظرة المنكرين فهم لا يحاولون تأويل تلك الأمثلة أو تخريجها ولا يرون تباينا بينها فى المعنى ومن هؤلاء سيبوية فقد قال فى كتابه : اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين . واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين نحو جلس وذهب ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو ذهب وانطلق ، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف نحو قولك : وجدت عليه من الموجدة ، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة وأشباه هذا كثير [4] .

والذى يعنينا من قول سيبويه هنا قوله : واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، وقد تابعه المبرد فى ذلك وغيره [5] .

---

(1) الفروق فى اللغة لأبى الهلال العسكرى / ١٣ .
(2) السابق / ١٤ - ١٥ .
(3) السابق / ١٦ .
(4) الكتاب لسيبويه ١ / ٢٤ .
(5) المزهر للسيوطى ١ / ٣٨٨ .

ومن هؤلاء الأصمعى فقد روى أن الرشيد سأله عن شعر لابن حزام العكلى ففسره فقال : يا أصمعى إن الغريب عندك لغير غريب قال : يا أمير المؤمنين ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسما ؟ [1] .

ومنهم حمزة الأصفهانى الذى جمع من أسماء الدواهى ما يزيد على أربعمائة وذكر أن تكاثر أسماءا لدواهى من إحدى الدواهى [2] .

ومن قال بوجوده أيضا المبرد فى (ما اختلف لفظه) والإمام الشافعى فى (الرسالة) وهو عربى له بصر بالعربية ، والمطرز الزاهد فى (المداخل) وابن الأنبارى فى (الوقف) وفى (شرح القصائد الجاهليات) والطبرانى فى (المعجم الكبير) وابن دريد فى (الجمهرة) وعلى عبد الرحمن بن هذيل الأندلسى فى (حلية الفرسان وشعار الشجعان) وابن النحاس فى (شرح المعلقات) والقالى فى (أماليه) وقطرب فى (الأزمنة والأمكنة) وابن سيده فى (المخصص) والضبى فى (المفضليات) والفيروز آبادى فى (الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف) وابن خالويه فى (أسماء الأسد وأسماء الحية) وفى (أمالى) القالى والزجاجى ، وابن دريد فى (الاشتقاق) والإمام الرازى والسبكى وابن السكيت والهمذانى وقدامة ابن جعفر وأبو الحسن الرمانى وابن منظور وغيرهم من علماء اللغة والأدب [3] .

وقد تعرض بعض اللغويين المحدثين لهذه الظاهرة منهم الأستاذ على الجارم فى مجلة المجمع اللغوى سنة ١٩٣٥ م ومن رأيه : أن الترادف موجود غير أن أمثلته ليست كثيرة بالصورة التى زعمها بعض العرب ، وأن المنكرين للترادف فى العربية مبالغون ، كما أن المثبتين له أيضا مبالغون ، أما مبالغة المنكرين فتظهر فى ورود أمثلة حقيقية من المترادفات فلا داعى إذن إلى إنكارها ، أما المثبتون للترادف فقد بالغوا – فى نظره – لأنهم أتوا بأمثلة يمكن تخريجها على وجه من الوجوه أو يمكن إخراجها من هذا الباب نهائيا.

ويرى الدكتور أنيس أن الترادف موجود واستدل على هذا بعدد من الأمثلة التى توضح بما لايدع مجالا للشك أنه حين يعترف بوقوع الترادف يهمل إهمالا تاما ما قد يكون بين

---

(١) الصاحبى لابن فارس / ٢١ والمزهر ١ / ٣٢٥ .

(٢) فقه اللغة للثعالبى / ٣٠٩ .

(٣) السابق / ٣٠٩ .

الكلمات من اختلاف اللهجات ومعناه أنه ينظر إلى الترادف فى اللغة العربية بوجه عـــام أى فى اللغة المشتركة بقطع النظر عن الفروق الناشئة عن اختلاف اللهجات.

ثم نرى له نظرة أخرى فى هذا الباب عندما يفرق بين النظرة التاريخية والنظرة الوصفيـة فى دراسة الترادف فيقول : إن المنكرين للترادف قد نظروا إليه من الناحية التاريخية حيـــث إن هذه الكلمات فى القديم كانت لها معان مختلفة ومن ثم فلا ترادف فى المعنى الحقيقى ، أما المثبتون له فقد نظروا إليه من الناحية الوصفية الخاصة بفترة معينة وفى هذه الفترة المعينة قد تلاشت هذه الفروق فى المعانى بين الكلمات وتنوسيت وعلى ذلك فالترادف موجود .

ونحن لا نوافقه على أن كل أمثلة الترادف فى أى فترة معينة قد ضاعت فروق المعـــنى بينها أو تناساها الناس قد يجوز هذا فى بعض الأمثلة ولكن بعضها الآخر لا يزال يحتفظ بـالفروق الدقيقة الجزئية فى المعنى .

وقد تعرض أيضا لهذا الموضوع جماعة من العلماء فى الغرب من هؤلاء " ستيفن أولمـان " فيقول : والترادف التام – على الرغم من عدم استحالته – نادر الوقوع إلى درجة كبيرة فـــهو نوع من الكماليات التى لاتستطيع اللغة أن تجود بها فى سهولة ويسر . فإذا ما وقع هذا الترادف التام فالعادة أن يكون ذلك لفترة قصيرة محدودة . حيث أن الغموض الذى يعـــترى المدلـــول والألوان أو الظلال المعنوية ذات الصيغة العاطفية أو الانفعالية التى تحيط بهذا المدلول لا تلبـــث أن تعمل على تحطيمه وتقويض أركانه : وكذلك سرعان ما تظهر بالتدريج فروق معنوية دقيقـــة بين الألفاظ المترادفة بحيث يصبح كل لفظ منها مناسبا وملائما للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد . كما أننا سنلاحظ فى الوقت نفسه أن مـــا يرتبـــط بهـــذه الألفاظ من عناصر عاطفية وتعبيرية وإيحائية خاصة سوف تأخذ فى الظهور والنمـــو ممتـــدة فى خطوط متباعدة [1] .

أما " بلو مفيلد " فلا يعترف بالترداف من أول الأمر حيث يرى أنـــه إذا اختلفـــت الصيغ صوتيا وجب اختلافها فى المعنى وعلى هذا فلا ترادف عنده .

ويوافقه على ذلك " فيرث " وعدم اعترافه بالترادف يتمشى مع مذهبه الخاص بـــالمعنى اللغوى عنده وهو عبارة عن مجموعة الخصائص والمميزات اللغوية للكلمة أو العبارة أو الجملة .

---

(1) دور الكلمة فى اللغة ستيفن أولمان ترجمة د / كمال بشر / ١٠٩.

ومن الطبيعى أن تكون المميزات الصوتية إحدى هذه المميزات والخصائص فإذا اختلفت من كلمة إلى أخرى (كما هو الحال فى المترادفات) وجب اختلاف الكلمتين فى المعنى أيضا والنتيجة الحتمية لهذا هى عدم وجود الترادف [1] .

والحق أن المنكرين والمثبتين قد أسرفا فى الرأى وبالغا فى القول فإنكار الترادف ومحاولة تأويل جميع أمثلته وتصيد الفروق فى المعانى فيه من التعسف ما فيه فالعرب كانوا منتشرين فى شبه الجزيرة وقد تضع قبيلة اسما لشئ وتضع قبيلة أخرى اسما للشئ نفسه فيختلف الاسمان ويتحد المسمى وهكذا ثم تتداخل اللغات بسبب الاختلاط فيأخذ هذا من لغة هذا وهذا من لغة هذا .

ومما يؤيد ذلك ما جاء فى صحيح البخارى فى الحديث المروى عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت صاحبتها إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك ، فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان بن دواد فأخبرتاه ، فقال : ائتونى بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى : لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى ، قال أبو هريرة : والله ما سمعت بالسكين إلا يومئذ ، وما كنا نقول إلا المدية " [2] .

أما القول بكثرة المترادف فلا يخلو من مبالغة أن كثيرا من أمثلته يمكن إخراجها من بابه على وجه من المجاز أو غيره ولذا نقول : إن الترادف أمر واقع فى اللغة ولكنه بالقدر الذى يتناسب مع وجوده فيها دون مبالغة أو غلو أو إسراف .

---

(1) السابق / ١٢٣

(2) صحيح البخارى (طبعة الشعب) ٤ /١٨ .

القرآن الكريم والترادف

إن المدقق فى هذه الظاهرة اللغوية لا يسلّم بوقوع المترادف بهذه الكثرة التى فى كتب اللغة بحيث يصبح للشئ الواحد عشرات الأسماء ، والمعجم العربى قد تضخم لأسباب عدة منها التصحيف والتحريق ورغبة بعض اللغويين فى المجئ بالغريب والتفرد به فى عصور كانت بضاعة اللغويين فيها تتشابه إلى حد كبير فكانت ظاهرة الترادف سببا آخر من أسباب تضخم معجم العرب .

وإذا سلمنا بوقوع المترادف فى اللغة فإن التسليم بوقوع المترادف فى القرآن الكريم أمر نجد فيه كثيرا من الصعوبة مع اعترافنا بمشقة البحث عن فروق دلالية بين ألفاظ من أصول لغوية مختلفة تكاد تعطى معنى واحدا .

والقرآن الكريم كلام رب العالمين نزل باللهجة الموحدة التى سادت شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام بأكثر من مائة عام وأخذت هذه اللهجة من عناصر اللهجات الأخرى الشئ الكثير ومنها المترادفات ، ولا يلزم من وجود المترادف فى اللغة التى نزل بها القرآن الكريم وجوده فى القرآن الكريم لأن العبرة ليست بالكلمات والألفاظ وإنما بالمتكلم نفسه . وإذا كان الترادف فى اللغة يعطى فرصة الاختيار بين الألفاظ ويوفر البديل للكلمة فإن مزية المتكلم هى أن يختار الكلمة ويضعها فى الموضع التى لا تصلح فيه غيرها .

وإذا كانت مقدرة البشر محدودة فى كل شئ فإن الله تعالى متصف بطلاقة القدرة ، والبشر معرضون للخطأ والصواب والله تعالى منزه عن الخطأ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَئٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) [1] .

ومن هنا فإن كلامه جل ثناؤه أعلى وأرفع من أن يضاهى أو يقابل أو يعارض به كلام بل يستحيل معه كل مقارنة وكيف لا يكون كذلك وهو كلام العلى الأعلى خالق كل لغة ولسان وصدق الله العظيم إذا يقول : (وإنَّهُ لتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِي مُبِينٍ) [2] .

---

(1) سورة الشورى / ٤٢ .

(2) سورة الشعراء / ١٩٢ - ١٩٥ .

ولا أنكر تقارب معانى بعض الألفاظ ذات الأصول اللغوية المختلفة ولكنى لا أقـــول باتحادها تماما لأن التدقيق فى هذه الأصول وملابسات النزول للآيات وبعض الحقائق التاريخيـــة بل وترتيب نزول السور تاريخيا وغير ذلك كل أولئك يفيد فى توجيه دلالة تلك الألفاظ الـــتى تكاد معانيها تتفق تماما . فأنت تجد فى القرآن الكريم قصة النبى إبراهيم عليه الســـلام – علـــى سبيل المثال – واردة فى سور كثيرة أى مكررة فى مواضع متعددة إلا أنها فى كل موضع أتـــت فيه تختلف عنها فى المواضع الأخرى من حيث الهيكل العام لقصته كاملة أو من حيث سياق كـل سورة ترد فيها القصة وما ينبنى معها من المعانى الجديدة لارتباطها بالآيات التى معها فى الســـياق نفسه فى سورة ما ، ومن هذا القبيل نقول : إن هناك ألفاظا تتقارب معانيها ولا تتحد تمامـــا فى دلالتها .

ومن كل ما سبق يجعل مسألة وجود الترادف فى القرآن الكريم مســـألة فيـــها نظـــر وليست على إطلاقها كما ذهب إلى ذلك الدكتور/ صبحى الصالح ، ولأن الـــترادف بـــالمعنى المعروف عند العلماء يدخل فى باب التكرار أحيانا كما يعطى الفرصة للقول بأن هذه الكلمة فى القرآن الكريم مثلا كان يمكن وضع مرادفها مكانها دون أن يخل ذلك بالمعنى المراد وهـــو أمـــر يتنافى مع الحكيم الخبير الذى أحسن كل شئ خلقه .

ويمكن تحديد معنى اللفظ القرآنى بالأمور الآتية :

١- معرفة الأصل اللغوى الذى أخذ منه اللفظ بالرجوع إلى لغة العـــرب الـــتى حفظتها المعاجم وغيرها .

٢- معرفة ما أضافه الإسلام من معان جديدة ترتبط بالمعنى الوضعى للفظ فى اللغة كالصلاة والزكاة والحج وغيرها .

٣- دراسة السياق القرآنى الذى ورد فيه اللفظ دراسة دقيقة ثم استقراء جميـــع المواضع التى ورد فيها اللفظ لتحديد معناه حيث إن السياق وحده فى بعـــض الحالات يكون المعين الأساسى لمعرفة الفرق بين اللفظين .

ودراسة اللفظ بهذه الطريقة ستؤدى بنا إلى معرفة الفروق الدلالية بين ما جعلته معاجم اللغة ودارسوها من ألفاظ القرآن الكريم متساوى الدلالة [1] .

---

(1) القرآن والترادف اللغوى للأستاذ سيد خضر / ١٤-١٥.

القسم الثانى : التطبيقى

٥ـ القلب والفؤاد .

٦ـ الحلف والقسم.

٧ـ الزواج والنكاح .

٨ـ الغيث والمطر .

٩ـ الجسم والجسد .

١٠ـ السنة والعام والحول والحجة .

١١ـ يثرب والمدينة .

١٢ـ الرؤيا والحلم .

١٣ـ مكة وبكة وأم القرى .

١٤ـ الختم والطبع .

ooo

أولاً : القلب والفؤاد :

يقول ابن منظور : التفؤد : التوقد ، والفؤاد : القلب لتفؤده وتوقده ، والفؤاد : القلب وقيل وسطه وقيل الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه [1] .

ويقول أيضا القلب : الفؤاد والجمع قلوب وقد يعبر بالقلب عن العقل ويسمى بذلك لتقلبه وحركته الدائبة [2] .

ويقول الفيروزآبادى : والقلب : الفؤاد أو أخص منه والعقل محض كل شئ [3] .

مما تقدم نرى أن معاجم اللغة لا تفرق بين القلب والفؤاد بل تجعلهما بمعنى واحد فهل هما كذلك فى القرآن الكريم ؟

وردت كلمة الفؤاد مفردة ومجموعة فى القرآن الكريم فى ستة عشر موضعا واستعراض هذه المواضع يوحى لنا أن لفظ الفؤاد يطلق على القلب فى حال خوفه وفزعه وانشغاله بأمر خطير ويستند ذلك أساسا إلى الأصل اللغوى " التفؤد : التوقد والفؤاد القلب لتفؤده وتوقده " .

ففى قوله تعالى (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْلاَ أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) [4] .

ونحن نجد فى هذه الآية لفظ (فؤاد) ولفظ (قلب) فلو كانا يؤديان معنى واحدا فما الداعى إلى التغاير إذن ؟ وهل كان قلب أم موسى فارغا ؟ إن قلبها كان مطمئنا بنصر الله لا شك ، أما فؤادها فهو الذى انتابه الخوف والفزع وهى تضع وليدها فى تابوت تقاذفه الأمواج وبعد هذا التفؤد والتوقد تأتى رحمة الله فيربط على قلبها وهو بعد ذهاب الخوف والفزع والحزن قلب وليس فؤادا .

ولنستعرض الآيات الآتية :

(وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسلُ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) [5]

---

(1) اللسان لابن منظور (فأر) ١٩٨/٣ - ٣٢٩ .

(2) السابق (قلب) ٦٨٧/١ .

(3) القاموس المحيط للفيروزآبادى (قلب) ١٩٩/١ .

(4) سورة القصص الآية / ١٠ .

(5) سورة هود الآية ١٢٠ .

(كَذَلِكَ لِنثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) [1]

ونحن نرى أن استعمال لفظ الفؤاد هنا يناسب تماما تلك الحال التى مر بها الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يرى الناس يكذبونه – إلا أفرادا معدودين – ويرى قومه يؤذونه رغم أنه جاءهم بالحق المبين والرسول الكريم بشر تجرى عليه عوارض البشر من خوف وحزن وقلق على دعوته وكل ذلك يحرك فؤاده فتنزل الآيات لتثبت هذا الفؤاد ، أما القلب فقد كان موقنا بنصر الله لا ريب وأنت لا تستطيع بحال – استنادا إلى الأصل اللغوى وظلال المعنى هنا – أن تضع لفظ القلب فى هذين الموضعين بديلا عن الفؤاد .

وانظر إلى هذه الصورة لموقف من مواقف الحشر (وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء) [2] .

فالكفار فى حال الفزع الشديد مهطعون أى مسرعون فى ذل وخشوع يرفعون أبصارهم المتحيرة . وناسب هذه الصورة أن تكون الأفئدة هواء خالية من كل أمن وطمأنينة .

ووردت كلمة (فؤاد) بصيغة الجمع (أفئدة) فى خمس آيات وردت مقترنة بالسمع والأبصار فى مقام التذكير بنعم الله تعالى على الإنسان ، ومن الملاحظ أن السمع والبصر والفؤاد من الوسائل المباشرة للإدراك عند الإنسان .

ولنا ملاحظة أخيرة تساعدنا على قبول ما تقدم وهى أن الستة عشر موضعا التى ورد فيها لفظ الفؤاد فى القرآن الكريم مكية جميعها وذلك يناسب تماما حال المجتمع إذ ذاك حال الخوف والقلق من جانب المؤمنين على قلتهم وضعفهم وحال الحيرة والفزع والغضب من جانب الكفار بسبب ما جاء به الإسلام . أما القلب فى القرآن الكريم فهو أداة الفهم والتدبر ومستقر العقيدة ولنستعرض هذه الآيات :

(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا) [3]

---

(1) سورة الفرقان الآية ٣٢ .

(2) سورة إبراهيم الآية ٤٢–٤٣ .

(3) سورة الحج الآية ٤٦ .

(لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يفَقْهَوُنَ بِهاَ) [1]

(أَفَلاَ يتَدَبَّرْونَ القُرْآن أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [2]

(إنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبهم أَكِنَّةً أنْ يفَقْهَوُهُ) [3]

(هُوَ الذّى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ المؤْمنِينَ لِيزْدَادوُا إِيمَاناً) [4]

ورد لفظ القلب مفردا ومثنى ومجموعا فى آيات كثيرة حيث يصف الله قلوب المؤمنين بأنها سليمة وفيها الإيمان والسكينة وقلوب الكفار بأن فيها مرضا وأنه تعالى طبع عليها وختم عليها فلا تتدبر أو تفقه ..... وهذا تأكيد لما تقدم من قولنا أن القلب فى القرآن هو أداة الفهم والعقل والتدبر وهو مستقر العقيدة [5] .

---

(1) سورة الأعراف الآية ١٧٩ .

(2) سورة محمد الآية ٢٤ .

(3) سورة الكهف الآية ٥٧ .

(4) سورة الفتح الآية ٤ .

(5) القرآن والترادف اللغوى للأستاذ سيد خضر / ١٩-٢٢ .

ثانيا : الحلف والقسم :

يقول ابن منظور : الحلف : القسم ، حلف أى أقسم يحلف حلفا وحلفا وحلفا [1] .

ويقول أيضا : القسم : اليمين ... وقد أقسم بالله واستقسمه به وقاسمه : حلف لـــه ، وتقاسم القوم : تحالفوا ، وفى التنزيل " قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللهِ وأقسمت : حلفت ، وأصلـــه مـــن القسامة ..... أى الذين يحلفون على حقهم ويأخذون [2] .

وقال أبو هلال العسكرى : القسم أبلغ من الحف – والقسم النصيب والمراد أن الذى أقسم عليه من المال وغيره قد أحرزه ودفع عنه الخصم بالله والحلف من قولك سيف حليـف أى قاطع ماض [3] .

فالقسم والحلف عند أصحاب المعاجم والتفاسير شئ واحد لكن باستعراض المـادتين فى القرآن الكريم قد يوحى لنا بظلال دلالية دقيقة تجعل من العسير وضع أحدهما مكان الآخر .

وردت مادة (حلف) فى القرن الكريم فى ثلاثة عشر موضعا واستعراضها يوحى بأن الحلف يكون فى موضع الاعتذار عن فعل ما أو اعتقاد ما ، ولذا لم يرد الحلف مسندا إلى الله تعـــالى فى القرآن وورد القسم مسندا إليه سبحانه ومن ذلك : (وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الحسْنَىَ) [4] .

(وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ استَطَعْنَا لَخَرَجْنَا معَكُمْ) [5] .

(يَحلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا ولَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ) [6] .

(يَوْمُ يَبْعَثهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ) [7] .

وليس غريبا أن ترد مادة (حلف) فى سورة التوبة وحدها فى سبعة مواضع أى أكـــثر من نصف مواضع المادة فى القرآن وهى السورة التى فضح الله فيها أفعال الكفـــار والمنـــافقين وأهل الكتاب من يهود ونصارى مما يضطر هؤلاء إلى اللجـــوء إلى الحلـــف لإثبـــات الـــبراءة والاعتذار .

---

(1) اللسان (حلف) ٩ / ٥٣ .

(2) اللسان (قسم) ١٢ / ٤٨١ .

(3) الفروق اللغوية / ٤٢ .

(4) سورة التوبة الآية ١٠٧ .

(5) سورة التوبة الآية ٤٢ .

(6) سورة التوبة الآية ٧٤ .

(7) سورة المجادلة الآية ١٨ .

أضف إلى ذلك أن الحلف لم يرد مسندا إلى الله تعالى بل ورد فى اثنى عشـــر موضعـا مسندا إلى أعداء الإسلام من الأحزاب المتعددة أما الموضع الثالث عشر فهو قوله تعالى : (فَمَـن لَّم يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ اَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارةُ أَيْمانكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ) [1] .

ولا يخفى أنه موضع اعتذار وتكفير عن يمين يقع فيها المسلم .

أما القسم فى القرآن الكريم فعلى ضربين :

الأول : قسم من الله تعالى بذاته أو ببعض مخلوقاته كالقسم برب المشارق والمغـلرب أو بمواقع النجوم أو بيوم القيامة ..... الخ . ولا نريد أن نضع هذا الضرب فى سياق المقارنـة بين فعلى الحلف والقسم المسندين إلى البشر .

والضرب الثانى قسم من الإنسان وهو لا يأتى أبدا فى موضع الحلف بظلال المعنى الـتى قدمناها هنالك ومن ذلك :

(وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيمَانِهِم لَئِنْ جَاءَتْهُم آيَةٌ ليؤْمِنَنَّ بِهَا) [2] .

(وَأَقْسَمُوا باللهِ جَهْدَ أَيمَانِهِم لاَ يبَعْثُ اللهُ مَنْ يَموُتُ) [3] .

(وَأَقْسَمُوا باللهِ جَهْدَ أَيمَانِهِم لَئنَ أَمَرْتَهُمْ لَيخْرُجُنَّ) [4] .

(إِنَّا بَلَوْنَاهُم كما بَلَوْنَا أَصْحَابَ الجَنَّة إِذْ أَقْسَموُا لَيصرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ) [5] .

(وَقَاسَمَهُما إِنِّى لَكُمَا مِنَ النَّاصِحِينَ) [6] .

(قَالُوا تَقَاسَموُا باللهِ لَنبُيَتَّنهُ وأَهْلَهُ) [7] .

والقسم فى هذه المواضع وغيرها مما لم نثبته هنا يجئ فى مواضع الحماس والعزم وعقـد النية على فعل ما مع إظهار القوة والتصميم على ذلك الفعل ؛ وليس فى ذلك معـنى الحلـف الذى هو إعتذار ومحاولة لإثبات البراءة وحسن النية .

---

(1) سورة المجادلة الآية ٨٩ .

(2) سورة الأنعام الآية ١٠٩ .

(3) سورة النحل الآية ٣٨ .

(4) سورة النور الآية ٥٣ .

(5) سورة القلم الآية ١٧ .

(6) سورة الأعراف الآية ٢١ .

(7) سورة النمل الآية ٤٩ .

وللقارئ الكريم أن يعود إلى النصوص التى أثبتناها وغيرها فى الحلف والقسم لـيرى الصورة الحسية التى تؤكد ما قدمنا وهى صورة الذين يحلفون وقد أصابهم الخزى والخجل ومحاولة إخفاء سوء النية . وصورة الذين يقسمون وقد أخذهم الحماس وأخذتهم الحمية ولك أن تنظر إلى إبليس اللعين وقد وقف أمام آدم وحواء – لا ليحلف لهما – وإنما ليقسم لهما أنه من الناصحين . وقد أخذه الحماس وجمع حججه الباطلة عاقدا العزم على إخراجهما من الجنة ولك أن تنظر إلى هؤلاء الرهط التسعة من قوم صالح عليه السلام – وهو يتقاسمون – وليس يحلفون على إيذائه وأهله وقد بلغ الشر بهم مداه وأخذتهم حمية الجاهلية [1] .

([1]) القرآن والترادف اللغوى للأستاذ سيد خضر / ٣٧ – ٤٠ .

ثالثا : الزواج والنكاح :

يقول ابن منظور : نكح فلان امرأة ينكحها نكاحا إذا تزوجها ونكحها باضعها أيضا ..... وأصل النكاح فى كلام العرب الوطء وقد يكون العقد [1] .

ويقول أيضا : الزوج : خلاف الفرد ..... قال تعالى : (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) [2] وكل واحد منهما يسمى زوجا ، والزوج الفرد الذى له قرين ، وزوج المرأة بعلها وزوج الرجل امرأته ... وتزوج فى بنى فلان نكح فيهم [3] .

وإذا رأينا فى باب الهمزة وحده من لسان العرب ثلاثة عشر فعلا بمعنى نكح وهى : حتأ [4] - حشأ [5] - حطأ [6] - حلأ [7] - فجأ [8] - رشأ [9] - رطأ [10] - سطأ [11] - شطأ [12] - فطأ [13] - كشأ [14] - لتأ [15] - مطأ [16] - أضف إلى ذلك عشرات الأفعال فى الأبواب الأخرى فإن القرآن الكريم فلم يستعمل لهذا المعنى سوى الفعل (نكح) أما الفعل القرآنى الذى يظن أنه مرادف له (تزوج) فهو يعطى معنى إضافيا لا يوجد فى الفعل (نكح) .

---

(1) فى الاية ٧ .

(2) اللسان (نكح) ٢ / ٦٢٥ .

(3) اللسان (زوج) ٢ / ١٩١ .

(4) اللسان ١ / ٥٤ .

(5) ١ / ٥٦ .

(6) ١ / ٥٧ .

(7) ١ / ٦٠ .

(8) ١ / ٦٣ .

(9) ١ / ٨٦ .

(10) ١ / ٨٦ .

(11) ١ / ٩٥ .

(12) ١ / ١٠٠ .

(13) ١ / ١٢٢ .

(14) ١ / ١٣٨ .

(15) ١ / ١٥٦ .

(16) ١ / ١٥٧ .

ولنستعرض ما يخص هذا المعنى من مادة (زوج) فى القرآن الكريم – لأن لها معـــانى أخر – نجد أن كلمة الزوج والفعل زوج لا يستعملان إلا بعد تمام العقد والدخول واســـتقرار الحياة الزوجية لما فى هذا المعنى من الاقتران حسب الوضع اللغوى (الزوج الفرد الذى له قريـن ولنقرأ النصوص الآتية) :

(فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا) [1] .

(كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ) [2] .

(مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ) [3] .

ولعلنا نلاحظ استعمال الفعل (زوج) بصيغة الماضى الذى يدل على وقوع الحدث .

أما النكاح – إن شئنا الدقيق لدلالته – فإنه الرغبة فى الزواج أو إرادة وقوعـــه ، أى قبل أن يتحقق الزواج فهو نكاح ولذلك نجد الأفعال التى تؤدى هذا المعنى فى القـــرآن جميعـــها دالة على المستقبل ما عدا فعلين يمكن توجيههما دون اعتساف فى التأويل أو خروج على قواعد اللغة والعرف الاجتماعى ومن النصوص :

(وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُم والصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وإِمَائِكُمْ) [4] .

(فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ) [5] .

(وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ) [6] .

(وامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِى إِنْ أَرَاد النَّبِىُّ أَنْ يَسْتَنْكِحِهَا خَالِصَةً لَّـــكَ مِـــنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) [7] .

(إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَى هَاتَيْنِ) [8] .

---

(1) سورة الأحزاب الآية ٣٧ .

(2) سورة الدخان الآية ٥٤ .

(3) سورة الطور الآية ٢٠ .

(4) سورة النور الآية ٣٢ .

(5) سورة النساء الآية ٣ .

(6) سورة البقرة الآية ٢٣٥ .

(7) سورة الأحزاب الآية ٥٠ .

(8) سورة القصص الآية ٢٧ .

وأفعال النكاح أو العزم على عقده هنا جميعا بمعنى المستقبل أى قبل أن يتحقق الـزواج وهناك فعلان وردا بصيغة الماضى الأول فى قوله تعالى (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن مـن قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) [1]

ومن السهل أن نعرف أن الفعل هنا وقع بعد إذا الظرفية الشرطية التى هى ظرف لمـا يستقبل من الزمن فالفعل الماضى بعدها دال عل المستقبل كما يدل الفعل المضارع على المـاضى إذا وقع بعد (لم) النافية الجازمة ومعنى الآية يساعدان على فهم المراد .

وقوله تعالى (قبل أن تمسوهن) يفيد أنه قبل المس زواجا وبما هو نكاح لأن الـزواج فيه الاقتران .

أما الفعل الثانى الذى ورد بصيغة الماضى ففى قوله تعالى :

(ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف) [2] .

والفعل الأول (تنكحوا) يدخل فى سياق ما أسلفنا من الدلالة على المسـتقبل أمـا الفعل الثانى (نكح) فيأتى هنا بحسب الأصل اللغوى له وهو (الوطء) وهو معنى حسى يذكر الأبناء بذلك الفعل وما يرتبط به من ظلال ودلالات لبث الكراهية فى نفس الابن حتى لا يقبـل الزواج بمن نكح أبوه من قبل . ولذلك نجد سياق الآية يعاضد بعضه بعضا بإكمال هذه الصورة التى تنفر منها الفطرة السليمة يقول تعالى فى الآية الكريمة نفسها : (إنه كان فاحشـة ومقتـا وساء سبيلا) [3] ورغم مجئ هذا الفعل بصيغة الماضى فإن وضع الفعل (تزوج) مكانـه غـير ممكن لما فيه من دلالة الاقتران المفقودة حال إرادة الابن أن ينكح ما نكح أبوه من قبل فالنكـاح – بمعناه الحسى – هو الهدف الأول من الزواج ثم يأتى بعد ذلك ما يطلبه الإنسان من الـزواج كالسكينة والأولاد فالأمر أولا نكح (رغبة فى الزواج) ثم زواج (اقتران وسكينة وأولاد) [4] .

---

(1) سورة الأحزاب الآية ٤٩ .

(2) سورة النساء الآية ٢٢ .

(3) النساء الآية / ٢٢ .

(4) القرآن والترادف اللغوى / ٢٢٣ – ٢٦ .

رابعا : الغيث والمطر :

يقول ابن منظور : المطر : الماء المنسكب من السحاب ، والمطـــر : مـــاء الســـحاب والجمع أمطار ... وأمطرهم الله مطرا أو عذابا ... وأمطرهم الله فى العذاب خاصته [1] .

ويقول الفيروز آبادى : الغيث : المطر والكلأ بماء السماء [2] .

وفى القرآن الكريم نجد الماء النازل من السماء يذكر باسمه أو الغيث ومادتـــــــــا (غوث – غيث) تأتيان فى القرآن بمعنى متقارب فالغوث العون والمساعدة كما فى قوله تعـالى : (ثُمَّ يَأْتِى مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وفيه يعْصِرونَ) [3] أما مادة (غيث) فتأتى بمعـــنى الماء المغيث الذى يسقى الناس والزرع ومن ذلك قوله تعالى : (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الأَرْحَامِ) [4] .

(وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الغَيْثَ منْ بَعْد مَا قَنطوُا وَيَنشْرُ رَحْمَتَهُ) [5] .

(كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّار نَبَاتَهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً) [6] .

ولعلنا نلاحظ ما فى معنى الغيث من العون والمساعدة .

أما المطر فى القرآن الكريم فقد ورد – أسماء وأفعال – فى خمسة عشر موضعـــا منـــها أربعة عشر فى العذاب والعقاب صراحة ومن ذلك : (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْـــهِم مَطَـــراً فَســـاءَ مَطَـــر الُمنذْرِينَ) [7] .

(وَلَقَدْ أَتَواْ عَلَى القَرْيَةِ الَّتى أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ) [8] .

(وأَمْطَرْنَا عَلَيهِم مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الُمجرِمِينَ) [9] .

---

(1) اللسان (مطر) ٥ / ٤٩ .

(2) القاموس المحيط (غيث) ١ / ١٧٧ .

(3) سورة يوسف الآية ٤٩ .

(4) سورة لقمان الآية ٣٤ .

(5) سورة الشورى الآية ٢٨ .

(6) سورة الحديد الآية ٢٠ .

(7) سورة الشعراء الآية ١٧٣ .

(8) سورة الفرقان الآية ٤٠ .

(9) سورة الأعراف الآية ٨٤ .

أما الموضع الخامس عشر فلم يرد فيه العذاب صراحة وذلك فى قولـــه تعـــالى : (وَلاَ جُنَـــاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذىً مِن مطَرٍ أَوْ كُنْتُم مَرْضَى أَنْ تضَعَوُا أَسْلِحَتَكُمْ) [1] .

ولا يخفى على القارئ الكريم دلالة هذا التعبير (أذى من مطر) واضطر الإنسان معـه أن يضع سلاحه فهو مطر مؤذ ولا شك واقترانه بالمرض فى هذا السياق يزيد الصورة وضوحا ، والمطر وإن لم يكن عقابا هنا فإنه يحمل ظلالا من الشدة وهذه الظلال جميعها تختفـــى إذا كـــان اللفظ هو الغيث الذى يحمل معانى الفرح والعود والحياة [2] .

([1]) سورة النساء الآية ١٠٢ .

([2]) القرآن والترادف اللغوى / ٣١ - ٣٢ .

خامسا : الجسم والجسد :

يقول ابن منظور : الجسم :" جماعة البدن والأعضاء من الناس والإبل والدواب والجسم والجسد [1] .

ويقول أيضا : الجسد : الجسم والبدن للإنسان والملك والجن ..... ومعنى الجسد معنى الجثة فقط لا يعقل ولا يميز [2] .

إذ يفسر أحدهما بالآخر فإن القرآن لم يستعملها بمعنى واحد ولتقرأ قوله تعالى : (إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ والجِسْمِ) [3] .

(وإِذَا رَأَيْتَهُمْ تعَجْبِكَ أَجْسَامُهُمْ) [4] .

واستعمال الجسم هنا إنما يكون لما فيه روح وحركة أما الجسد فيستعمل فى القرآن لما ليس فيه روح أو حياة ، وقد ورد هذا اللفظ فى أربعة مواضع هى .

(واتَّخَذ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْده منْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جسَدَاً) [5] .

(فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارُ) [6] .

(وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) [7] .

(وَلَقَدْ فَتَناَّ سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ) [8] .

ويتضح من استعراض اللفظ فى هذه المواضع أن الجسد يستعمل فى القرآن لما لا روح فيه ، وهذا فرق لا تعبأ به المعاجم اللغوية ولكن القرآن المبين كلام الله المعجز [9] .

---

(1) اللسان (جسم) ١٢ / ٩٩ .

(2) السابق (جسد) ٣ / ١٢٠ .

(3) سورة البقرة الآية ٢٤٧ .

(4) سورة المنافقون الآية ٤ .

(5) سورة الأعراف الآية ٤٨ .

(6) سورة طه الآية ٨٨ .

(7) سورة الأنبياء الآية ٨ .

(8) سورة ص الآية ٣٤ .

(9) القرآن والترادف اللغوى / ٤٧ .

سادسا : السنة والعام والحول والحجة :

يقول أبو هلال العسكرى : العام جمع أيام والسنة جمع شهور [1] .

ويقول ابن منظور : السنة واحدة السنين قال ابن سيده : السنة : العام والسنة مطلقة السنة المجدبة أوقعوا ذلك عليها إكبارا لها وتشنيعا واستطالة يقال أصابتهم السنة [2] .

ويقول أيضا : الحول : سنة بأسرها وحال عليه الحول حول وحؤولا أتى وأحال الشئ واحتال أتى عليه حول كامل ..... وحالت القوس عن حالها انقلبت وحصل فى قابها إعوجاج والمحال من الكلام ما عدل به عن وجهه [3] .

ويقول الزمخشرى : وأقمت عنده حجة كاملة وثلاث حجج كوامل [4] .

وأصل الحج : القصد واللزوم ثم تعارفت العرب على استعماله فى القصد إلى مكة للتنسك والحج إلى البيت الحرام [5] .

وقد جاءت تسمية السنة بالحجة لأنه يحج فيها :

والسنة – كما فى تعريف اللسان – العام والعاد السنة إلا أن القرآن الكريم فى سياقات معينة يضع العام موضعا يصعب فيه وضع السنة أو العكس .

ولنقرأ قوله تعالى فى قصة نوح (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىَ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) [6] .

قال الزمخشرى : فإن قلت : فلم جاء المميز أولا بالسنة وثانيا بالعام ؟ قلت : لأن تكرير اللفظ الواحد فى الكلام الواحد حقيق بالاجتناب فى البلاغة إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك [7] .

---

(1) الفروق اللغوية / ٢٤٤ .

(2) اللسان (سنة) ١٣ / ٥٠١ .

(3) اللسان (حول) ١١ / ١٨٤ .

(4) أساس البلاغة للزمخشرى / ٧٤ .

(5) اللسان (حجج) ٢ / ٢٢٦ .

(6) سورة العنكبوت الآية ١٤ .

(7) الكشاف للزمخشرى ٣ / ٤٤٥ .

وأقول : إن العرب يطلقون لفظ السنة على السنة المجدبة إكبارا لها وتشنيعا واستطالة ولقد خاطبهم القرآن بمعهود كلامهم فقال : (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ونَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلهُمْ يذَكَّرُونَ) [1] وقد جعل السنين – مطلقة – عقابا مما عاقب الله تعالى به آل فرعون .

وانظر إلى سنى نوح عليه السلام التى قضاها فى قومه يدعوهم إلى الله وهم يعرضونه ويتهمونه بشتى اتهامات الباطل ويسخرون منه وممن آمن معه ، وكم كانت السنون شديدة عليه وكم اشتد القوم معه فكان لفظ السنة بما يحمل من ظلال الشدة فما نفوس المتلقين للقرآن مناسبا لهذه الحال أما لفظ العام فإنه أطلق على الفترة المثنناة من الألف وهى خمسون عاما . ومن المناسب تماما أن تكون الفترة التى عاشها نوح مع المؤمنين بعد الطوفان أعواما لا سنين بما يحمل لفظ السنة من ظلال ولقد اقتضى التغاير فى المعنى والحالين تخايرا فى اللفظ ، وهذا من دقائق بلاغة القرآن الكريم المعجز ولقد حكم السياق بهذا التغاير بين السنة والعام .

ونستطيع أن نجد بعضا من ظلال المعنى الذى قدمناه فى الآيات الآتية من سورة يوسف : (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سنِينَ دَأْباً فمَا حَصَدتم فَذَروُهُ فى سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَليلاً مِمَّا تَأْكُلوُنَ ثُمَّ يَأْتى مِنْ بَعْدِ ذَلكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يأَكْلُنْ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ الناسُ وفِيهِ يَعْصرونَ) [2] .

لقد أول يوسف عليه السلام الرؤيا بأن القوم سيزرعون ويحصدون ويدخرون سبع سنين دائبين ثم تأتيهم سبع سنين شداد يأكلن ما ادخر القوم حتى إذا بغت السنون بهم مداها جاءهم الفرج من الله (عام) فيه يغاث الناس وفيه يعصرون .

ولعل القارئ الكريم يرى إذن أن التغاير بين سنى الدأب والجدب وبين عام الفرج والغوث والاعتصار هو الذى اقتضى هذا التغاير بين السنة والعام .

أما لفظ الحول (بمعنى السنة أو العام) فقد ورد فى موضعين فى القرآن : (والذَينَ يُتوَفَّونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزوْاجاً وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِم مَّتَاعاً إِلَى الحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ) [3] .

---

(1) سورة الأعراف الآية ١٣٠ .

(2) سورة يوسف الآية ٤٧ – ٤٩ .

(3) سورة البقرة الآية ٢٤٠ .

(والوَالِدَاتُ يرضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حولين كاملين لمن أَرَادَ أَنْ يتُمَّ الرِّضَاعَةِ) [1] .

والحكم الشرعى فى الآية الأولى وهو الوصية للزوجة واعتدادها حولا كاملا حال وفاة زوجها كان أول الإسلام ثم رحم الله عباده بحكم أيسر - وهذا ما يسميه العلماء نسخ الحكم بآخر - وهو الميراث الشرعى للزوجة واعتدادها أربعة أشهر وعشرا ، والواضح من لفظ الحول فى الآيتين أنه ميقات لبدء السنة ونهايتها فى أى وقت من أوقات سنة معلومة أى تبدأ الحساب من أول يوم فى سنة ما فتعد اثنى عشر شهرا ليتم الحول بذلك وهذا يوافق الاشتقاق اللغوى للفظ بمعنى التحول من حال إلى أخرى .

أما لفظ حجة : فقد ورد مجموعا فى موضع واحد فى قوله تعالى (إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَىَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِى ثَمَانِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ) [2] .

ولفظ الحجة إنما أخذ من الحج وهو القصد وذلك لأن السنة التى يحج فيها تسمى حجة وهو تسمية الشئ بما يكون فيه وفى هذا اللفظ دلالة تاريخية حيث كان الناس إذ ذاك يحسبون سنينهم بالحج لعدم وجود تقويم بالمعنى المتداول إلا من بعد ميلاد عيسى وهجرة النبى عليهما السلام إلى اليوم ولا يحمل اللفظ ما يحمله العام أو السنة أو الحول من ظلال ومعان أخرى [3] .

---

(1) سورة البقرة الآية ٢٣٣ .

(2) سورة القصص الآية ٢٧ .

(3) القرآن والترادف اللغوى / ٣٧ - ٤٠ .

سابعاً : يثرب والمدينة:

إذا كانت يثرب هى المدينة والمدينة هى يثرب فهل توجد علة لاستعمال القرآن الكريم اللفظين كليهما . علما بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى سماها المدينة ولم يكن يحب تسميتها الأولى (يثرب) كما يقول صاحب اللسان : يثرب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غير الرسول هذا الاسن وسماها (طيبة) بفتح الطاء لأن الثرب : الفساد فى لغة العرب واللوم والتعبير [1] .

لقد ورد اسم المدينة (مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم) فى أربعة مواضع فى القرآن الكريم :

(وَمِّمِنْ حَوْلَكُم مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ) [2]

(مَا كَانَ لأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهمُ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ) [3]

(لَئِنْ لَمْ يَنْتَهَ المُنافِقونَ وَالذِّينَ فى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالمرُجْفِونَ فِى المَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ) [4]

(يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهاَ الأَذَلَّ) [5]

أما لفظ يثرب فقد ورد فى موضع واحد هو :

(وإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنهُمْ يَاَ أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا) [6]

والمواضع الثلاثة الأولى التى ورد فيها لفظ المدينة تصدر من الله تعالى الذى حبب إلى المسلمين هذا الاسم واستعمله فى القرآن الكريم .

أما الموضع الرابع فهو حكاية قول المنافقين فى غزوة بنى المصطلق وقد ورد فى سورة (المنافقين) التى نزلت بعد الأحزاب بحوالى ثلاث عشرة سورة وسورة الأحزاب هى التى ورد

---

(1) اللسان (ثرب) ١/٢٣٥ .

(2) سورة التوبة الآية ١٠١.

(3) سورة التوبة الآية ١٢٠.

(4) سورة الأحزاب الآية ٦٠.

(5) سورة المنافقون الآية ٨ .

(6) سورة الأحزاب الآية ١٣ .

فيها لفظ يثرب والذين استعملوه هم المنافقون من أهل المدينة الذين أرادوا تثبيط المسلمين عن الدفاع عن المدينة فى غزوة الأحزاب أو الخندق واستأذنوا الرسول يزعمون أن بيوتهم عورة .

ومن الواضح أن المنافقين فى قولهم " يَا أَهْلَ يَثْرِبَ " لم يكونوا راضين عن تغيير اسم يثرب إلى المدينة وهو الاسم الذى اختاره الله ورسوله والمؤمنون وهذا يظهر مدى الحقد الذى فى نفوسهم حتى من التسمية التى يحبها المسلمون لبلدهم أما فى سورة (المنافقون) فإن اسم المدينة كان قد استقر ولم يعد مجال لأن يقولوا (يا أهل يثرب) إذ أن المسلمين قد قويت شوكتهم وضعف أمر المنافقين فخضعوا للأمر الواقع خصوصا إذا علمنا أن بين سورة (الأحزاب) وسورة (المنافقون) فى ترتيب النزول ثلاث عشرة سورة .

وخلاصة القول أن المنافقين حينما كانوا فى شئ من القوة لم يقبلوا لفظ (المدينة) حتى إذا ضعفت شوكتهم وقويت شوكة المسلمين قبلوا اسم المدينة وتركوا استعمال اسم (يثرب) والله تعالى أعلم [1] .

([1]) القرآن والترادف اللغوى / ٤٩-٥٠.

ثامناً : الرؤيا والحلم :

يقول ابن منظور : الرؤيا : ما يأتيك فى منامك والجمع رؤى [1] .

ويقول أيضا : الحلَم (بسكون اللام وضمها) الرؤيا والجمع أحلام حلم يحلم إذا رأى فى نومه ... وفى الحديث : " الرؤيا من الله والحلم من الشيطان " [2] .

وقد ورد لفظ (الحلم) فى القرآن فى ثلاثة مواضع مجموعا وهى :

(قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ) [3]

(بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ) [4]

(أَمْ تَأْمرُهُمْ أَحْلاَمُهُمْ بِهذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ ظَالِمُونَ) [5]

أما لفظ الرؤيا فقد ورد بصيغة الفعل والاسم بمعنى ما يراها الإنسان فى نومه فى خمسة عشر موضعا نذكر بعضها وهى :

(يَا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ والْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ) [6]

(يَا أَيُّهَا المَلأُ أَفْتُونِى فِى رُؤْيَاىَ) [7]

(لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحقِّ) [8]

ومن استعراض المادتين نجد أن لفظ الأحلام يستعمل لما يتأكد منه الرائى فى منامه ولا يستطيع تصويره كما حدث ، وبمعنى آخر هو لما يظن أنه وسوسة الشيطان وليس حقيقة يؤكد ذلك مجئ لفظ الحلم مجموعا فى جميع المواضع والجمع يدل على الكثرة التى توحى بالاختلاط أضف إلى ذلك لفظ أضغاث أى متلبسات مختلطات مما يوحى بالالتباس والغموض .

---

(1) اللسان (رأى) ٢٩٧/١٤.

(2) اللسان (حلم) ١٤٥/١٢ .

(3) سورة يوسف الآية ٤٤ .

(4) سورة الأنبياء الآية ٥ .

(5) سورة الطور الآية : ٣٢ .

(6) سورة يوسف الآية ٤.

(7) سورة يوسف الآية ٤٣.

(8) سورة الفتح الآية ٢٧ .

يقول الزمخشرى : إن قلت فى تفسير قوله تعالى : (قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ) فلم قالوا : أحلام فجمعوا ؟ قلت : هو كما تقول : فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب إلا فرسا واحدا وما له إلا عمامة واحدة تزيدا فى الوصف فهؤلاء أيضا تزيدوا فى وصف الحلم بالبطلان فجعلوه أضغاث أحلام ، ويجوز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا غيرها [1] .

وأما أن يكون الملك قد قص عليهم مع تلك الرؤيا غيرها فهذا مستبعد من السياق والقرائن فى الآيات السابقة واللاحقة .

أما جمع اللفظ فهو للسبب الذى قدمت وهو أن المعبرين حين عجزوا عن تفسير الرؤيا ظنوها حلما ، والحلم تلبيس من الشيطان وأخلاط يراها النائم ولهذا جمعوا اللفظ ليؤكدوا أن ما رآه الملك أخلاط دخل بعضها فى بعض إذ لو كان حلما واحدا فقط لما اشتبه على الملك فى رأيهم .

أما لفظ الرؤيا فقد ورد أسماء وأفعالا فى خمسة عشر موضعا واستعراضها جميعها يدل على أنها حق وأنها من الله تعالى ، والدليل على ذلك تحققها فى عالم الواقع بعد ذلك كقول يوسف عليه السلام لأبيه : (هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا) [2] وتحقق رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدخول المسجد الحرام [3] .

---

(1) الكشاف للزمخشرى ٢/٤٧٥ .

(2) سورة يوسف الآية ١٠٠ .

(3) القرآن والترادف اللغوى / ٥٣-٥٥ .

تاسعاً : مكة وبكة وأم القرى :

هذه الاسماء الثلاثة مستعملة فى القرآن الكريم علما على البلد الأمين مكة المكرمة فهل هناك فروق دلالية تستدعى استعمال كل لفظ منها فى سياق خاص ؟

لنحاول أن نتبين ذلك من استعراض النصوص

فقد ورد لفظ (بكة) فى موضع واحد هو قوله تعالى :

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذى بَبِكَّةَ مُبَارَكاً وهُدًى لِلعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مُقَامُ إِبْرَاهِيمَ) [1] .

ويقول ابن منظور : البك : دق العنق ، وبكة : مكة سميت بذلك لأنها تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها ، وقيل لأن الناس يتزاحمون فيها [2] .

وورد لفظ (مكة) فى موضع واحد هو :

(وَهُوَ الذِّى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ) [3]

ويقول ابن منظور : مك الفصيل أمه : أمتص جميع ما فى ضرعها وكذلك الصبى ، والمك : الازدحام كالبك وسميت مكة بذلك لقلة مائها لأنهم كانوا يمتكونه أى يستخرجونه ، وقيل سميت بذلك لأنها تمك (تملك) من يلحد فيها [4] .

وورد لفظ (أم القرى) فى مواضع هى :

(وَلِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) [5]

(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِياً لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) [6]

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِى أُمِّهَا رَسُولاً) [7]

---

(1) سورة آل عمران الآية ٩٦-٩٧ .

(2) اللسان (بك) ١٠/٤٩٠ .

(3) سورة الفتح الآية ٢٤ .

(4) اللسان (مك) ١٠/٤٩٠ .

(5) سورة الأنعام الآية ٩٢ .

(6) سورة الشورى الآية ٧ .

(7) سورة القصص الآية ٥٩ .

ويقول ابن منظور : وأم القرى : مكة وكل مدينة أم ما حولها من القرى [1]

بعد هذا الاستعراض نبحث عن دلالة كل اسم على المعنى المراد من خلال السياق ، ومن الواضح أن السياق فى اسم (بكة) تاريخى يراد منه إشعار القارئ بقدم هذه المدينة وقدم البيت الحرام ولذلك استعمل الاسم القديم لمكة ، ولم يكن هذا الاسم مستعملا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقوى هذا ذكر الآيات البينات ومنها مقام إبراهيم عليه السلام فى الآية التى تلتها وفى ذلك دلالة على قدم البيت والمدينة .

أما لفظ (مكة) فى مكانه فهو عن حكاية تخص جماعة المؤمنين وتحكى واقعة عاشها المسلمون فى صلح الحديبية حيث منع الله وقوع القتال وكان الصلح ذاته نصرا للمسلمين . ولهذا ناسب أن يذكر الموضع بالمصطلح المعروف (بطن مكة) .

أما وصفه تعالى لمكة بأنها (أم القرى) فهو إشارة لمكانة المدينة المعظمة عند الله ومكانتها بين غيرها من مدن الأرض وقراها ، إذ هى أم تلك القرى جميعا ، والسياق الذى وردت فيه الكلمة يوحى بذلك مما يدل على عالمية الدعوة وأنها لأهل الأرض جميعاً [2] .

---

(1) اللسان (مك) ١٠/٤٩٠ .

(2) القرآن والترادق اللغوى / ٥٩-٦١

عاشراً : الختم والطبع :

يقول ابن منظور : الطبع : الختم ، وهو التأثير فى الطين وغيره وطبع الله على قلبه ختم على المثل ، وطبع الله على قلوب الكافرين أى ختم فلا يعون ولا يوقفون إلى الخير . ... والطبع (بفتحتين) الصدأ يكثر على السيف ثم يستعار للأوزار والآثام [1] .

ويقول أيضا : ختمه ... يختمه : طبعه ؛ ... والختم على القلب أن لا يفهم شيئا ؛ ... ومعنى ختم وطبع واحد وهو التغطية على الشئ ، وختم الشئ يختمه ختما بلغ آخره [2] .

ولقد حاول أبو هلال العسكرى أن يفرق بين الطبع والختم فقال : الطبع اثر يثبت فى المطبوع ويلزمه ، ولايفيد الختم الثبات واللزوم [3] ولا يقوم هذا التفريق بينهما على أساس الواقع اللغوى أو الاستعمال القرآنى كما سنرى .

والقارئ للوهلة الأولى لا يجد فرقا دلاليا واضحاً بين الختم والطبع حتى فى الآيات القرآنية التى ورد فيها اللفظان ، أما عند التدقيق فإن هناك ظلالا دلالية دقيقة تجعل لكل منهما معنى إضافيا على المعنى الأصلى .

وأول ما نجده من أفعال الختم فى القرآن فى سورة البقرة : (خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبصَارِهِم غِشَاوَةٌ) [4]

وهذا الكلام وارد فى حق الكفار لا المنافقين لأن حديث المنافقين يأتى بعد ذلك – بعد الحديث عن الكفار – فى ثلاث عشرة آية فى سورة البقرة ، والكفار كما نعلم صدوا عن الحق منذ البداية فلم ينافقوا ولم يماروا وموقفهم واضح من أول الأمر وموقفهم هذا واضح من سياق الآية : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هُوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ) [5]

وواضح أن الختم على القلوب يكون مرة واحدة لمن لا يسمع الدعوة أصلا ولا يكلف نفسه النفاق والمداراة ، أما الطبع فيبدو معناه من عبارة اللسان : والطبع : الصدأ يكثر

---

(1) اللسان (طبع) ٢٣٢/٨ .

(2) اللسان (ختم) ١٦٣/١٢ .

(3) الفروق فى اللغة / ٥٦.

(4) سورة البقرة الآية ٧ .

(5) سورة الجاثية الآية ٢٣ .

على السيف ثم يستعار للأوزار والآثام [1] أى أن الطبع يكون لمن نافق فازدادت آثامه حتى رانت على قلبه كالطبع الذى هو الصدأ يعلو السيف شيئا فشيئا ، أما الختم فيكون دفعة واحدة لأن الكافر صد عن الحق مرة واحدة . ونفهم ذلك من سياق الآية : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ) [2]

والختم يرد فى سياق الحديث عن الكفار فحسب ، والطبع يرد فى سياق الحديث عن الاثنين (المنافقين والكافرين) ورغم هذا التقارب الشديد فى الدلالة فإننا نلحظ تلك الفروق الدقيقة بين اللفظتين ، ففى الختم الشدة مما يوحى بانتهاء أمل المختوم على قلوبهم من الكفار ، وفى الطبع التدرج – كالصدأ يرين على القلوب متدرجاً – مما يوحى بالانتقال من حال إلى حال كما هو شأن النفاق والمنافقين [3] .

---

(1) (اللسان ، طبع) ٢٣٢/٨.

(2) سورة التوبة الآية ٨٦ ، ٨٧ .

(3) القرآن والترادف اللغوى / ٦٩-٧١.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد النبى الأمى وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ،

فهذا بحث متواضع بعنوان " رؤية فى الترادف من خلال القرآن الكريم " حاولت فيه قدر استطاعتى إيجاد الفروق الدقيقة لبعض مترادفات القرآن الكريم عن طريق التحليل اللغوى لها وقد توصلت فيه للنتائج الآتية :

١- إن واضع اللغة سواء أكانت توقيفا أو اصطلاحا لم يعمد إلى شئ واحد ليضع له اسمين مختلفين وإن حدث ذلك فإن الاسمين يحمل كل منهما ما لا يحمله الآخر من معان وظلال وإن دل على مسمى واحد .

٢- إذا سلمنا بوجود المترادفات فى اللغة فإن التسليم بوجوده فى القرآن الكريم أمر كثير الصعوبة فلا يلزم من وجوده فى العربية وجوده فى القرآن لكريم لأن العبرة ليست بالكلمات والألفاظ وإنما بالمتكلم نفسه .

٣- القرآن الكريم أعلى وأرفع من أن يضاهى أو يقابل أو يعارض به كلام بل تستحيل معه كل مقارنة وكيف لا يكون كذلك وهو كلام العلى الأعلى خالق كل لغة ولسان .

٤- اللفظ القرآنى لا يقوم غيره مقامه أبدا ولو كان معناهما متقاربين .

٥- دراسة المعجم القرآنى هى المفتاح الأول لدراسة المعجم العربى وتطويره ليلائم تطور العصر وحاجاته المتزايدة .

المصادر والمراجع

١- أساس البلاغة للزمخشرى : مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٢ م .

٢- تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح) : تحقيق أحمد عبد الغفور عطار مطابع دار الكتاب العربى بمصر ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م .

٣- دراسات فى فقه اللغة : د . صبحى الصالح الطبعة الثانية ١٣٨٢ هـ - ١٩٦١ م .

٤- دور الكلمة فى اللغة : تأليف / ستيفن أولمان ترجمة د . كمال محمد بشر ١٩٨٧ م . الناشر مكتبة الشباب .

٥- الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعى : تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر طبعة ١٩٣٩ م .

٦- الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها : تحقيق . السيد أحمد صقر مطبعة فيصل عيسى البابى الحلبى وشركاه ، دار إحياء الكتب العربية .

٧- صحيح البخارى للإمام أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى : دار مطابع الشعب .

٨- علم أصول الفقه للشيخ محمد عبد الله أبو النجا .

٩- الفروق فى اللغة لأبى الهلال العسكرى : تحقيق لجنة تحقيق التراث ، نشر دار الآفاق الجديدة بيروت .

١٠- فقه اللغة وسر العربية لأبى منصور الثعالبى : مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٩٥٤ م .

١١- فى اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس الطبعة الخامسة نشر مكتبة الانجلو .

١٢- القاموس المحيط للفيروزآبادى : طبع ونشر مصطفى البابى الحلبى الطبعة الثانية ١٩٥٢ م .

١٣- القرآن والترادف اللغوى للأستاذ سيد خضر الطبعة الأولى ١٩٩١م.

١٤- الكتاب لسيبويه : تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، سلسلة تراثنا ١٩٧٣ م .

١٥- الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشرى : المطبعة المصرية ببولاق ١٩٨١ م ومطبعة الحلبى بمصر ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .

١٦- لسان العرب لابن نظور : طبعة دار صادر بيروت .

١٧- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها : لجلال الدين السيوطى تحقيق ، محمد أحمد جاد المولى وآخرين . دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه .

١٨- المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات .

١٩- المشترك اللغوى نظرية وتطبيقيا د . توفيق محمد شاهين ، نشر مكتبة وهبة .

فهرس المحتوى

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥٤١
القسم الأول : النظرى .	٥٤٢
الترادف لغة واصطلاحا .	٥٤٣
اهتمام العلماء به .	٥٤٥
آراء العلماء فى الترادف .	٥٤٦
القرآن الكريم والترادف .	٥٥٣
القسم الثانى : التطبيقى .	٥٥٥
القلب والفؤاد .	٥٥٦
الحلف والقسم .	٥٥٩
الزواج والنكاح .	٥٦٢
الغيث والمطر .	٥٦٥
الجسم والجسد .	٥٦٧
السنة والعام والحول والحجة .	٥٦٨
يثرب والمدينة .	٥٧١
الرؤيا والحلم .	٥٧٣
مكة وبكة وأن القرى .	٥٧٥
الختم والطبع	٥٧٧